موقف رجال الحركة الوطنية من الكيان الصهيوني بفلسطين 1948/1936

د/كلاخي ياقوت، جامعة تيارت

الملخص:

تعد القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التي لم يتم تسويتها الى يومنا هذا، اذ تنفرد بتاريخها التحرري الذي نجد له حضورا ضمن الحركة الوطنية الجزائرية ونضال رجالها وذلك مايدل على انتشار الفكر القومي العربي خلال فترة الثلاثينيات والاربعينيات وهي الفترة التي شهدت نشاطا ووعيا سياسيا ترجم في نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية ومن بين القضايا التي لقيت اهتماما لدى السياسين الجزائريين القضية الفلسطينية، فكان حزب الشعب الجزائري من الاحزاب التي دعت الى نصرة القضية الفلسطينية خاصة بعد لقاء مصالي الحاج مع شكيب أرسلان مما جعل الحزب يتجه اتجاها قوميا عربيا، كما كان لجمعية العلماء المسلمين موقفها المساند للقضية معنويا وماديا، وبعد اعلان الكيان الصهيوني لاقامة دولته على الاراضي الفلسطينية سجلت للشخصيات الوطنية الجزائرية استنكارها للوضع الذي آلت اليه القضية الفلسطينية، حيث سجلت من خلال الوثائق الارشيفية قضية اتهام بوتارن قادة بالاعتراف بالكيان الصهيوني ودولته على أرض فلسطين وهو أحد أبرز الاعضاء ضمن حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بتيارت والتي أثارت ضجة في أوساط السياسيين بمدينة تيارت على مستوى حزب حركة الانتصار المعروف بصراعه مع حزب الاتحاد الديمقراطي ، ومهما كانت ملبسات القضية فاننا نستنتج ما لي القضية الفلسطينية من أهمية لدى الجزائريين خاصة النخب منهم السياسية والثقافية الذين عملوا على نصرة القضية الفلسطينية.

The Attitude of the Algerian Political Leaders toward the Sionist Occupation of Palestine

The Palestinian Question is still the among the issus that are not yet set up by the international community. This question has had an echo in the Algerian ntional movement during the 1930s and 1940s when the Algerian liberation movement was in intense acitivities.

The Association of the Algerian Ulemawas backing up the Palestinian question and it was denouncing the Sionist State and the British occupation of Palestine.

The Party of the Algerian People was also in the same position regarding this Arab problem. Its lerader, Mr Messali Hadj had met with Mr Chekib Arslan of Syria and became not only struggling for independence but he was supporting the Arab issues.

According to the Algerian archives, Mr Boutarene Kada, an outstanding member of the Democratic Union for the Algerian Manifest which founded in June 1946, had been accused of recognising the Jewish State in Palestine ; the fact that he had denied vigourously in the local and reginal newspapers. This event proves the interest of the Algerians in the Palestinian question.

تعد القضية الفلسطينية من أعلق القضايا وأكثرها تأزما حيث اجتمعت حولها مصالح العديد من الدول بداية من بريطانيا صاحبة مشروع تقسيم المشرق العربي ضمن ما عرف باتفاقية **سايكس بيكو** التي جمعتها مع فرنسا، غير أن هذه الاخيرة كانت خططها الاستعمارية متمركزة نحو المغرب العربي، لتظهر الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية كقوة سياسية عالمية لتحل محل بريطانيا في منطقة المشرق العربي بغرض حماية الكيان الصهيوني والمساهمة في نشأته وزرعه كدولة لها كيانها السياسي والعسكري

والاقتصادي حيث يعد الكيان الصهيوني ممثلا للرأسمالية الغربية في قلب العالم العربي، وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تخطط لاخضاع المشرق العربي بعد أن تآمرت مع الشريف حسين على التواجد العثماني والقضاء عليه تحت ما عرف بالثورة العربية سنة 1916 ، كانت فرنسا حينها قد قطعت شوطا كبيرا في اخضاع بلدان المغرب العربي على رأسها الجزائر التي تعد ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي تجربة ونموذجا سعت فرنسا لتعميمه في المناطق التي احتلتها بالمغرب العربي،تلك هي السياسة نفسها التي اعتمدها بريطانيا في فلسطين ومن بعدها الكيان الصهيوني و الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

فالاستعمار الامبريالي كان يهدف أساسا لاستثمار الافراد والشركات الرأسمالية الغربية في بلدان العالم العربي عن طريق تنمية رأسمالها وتنويع استثمارها وربط اقتصاد البلدان العربية بالاقتصاد الرأسمالي الغربي[1]، ولم يهدف الى تنمية المنطقة أو عمل على اتاحة الفرص للسكان الاصليين لممارسة حقهم في اقتصاد يلبي حاجة المواطنين للمواد الاساسية ويعمل على تنميتها بل هدف الى سد حاجة السوق في الدول الغربية وتلبية سياسات دولها في كل الظروف[2].

وهذا ما اتضحت معالمه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى التي كانت لها انعكاسات سلبية على العالم العربي كما كان لها انعكاسات ايجابية من أهمها دخول الفكر العربي مرحلة جديدة فكريا ، سياسيا واجتماعيا فقد انتهت الحرب بخيبة أمل كبيرة للعرب فلم تتحقق أمانيهم لا في اعطاء حقوقهم السياسية كما وعدت بها فرنسا الجزائريين ولا في تحقيق بريطانيا لمطالب القوميين العرب المشارقة أعقاب المؤتمر العربي عام 1913 وخلال **الثورة العربية 1916**، بل قسم المشرق العربي الى دويلات محتلة، وسلمت فلسطين لليهود تحت غطاء استعماري بريطاني بمقتضى وعد بلفور1917 .

ونظرا لتشابه السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية من جهة و لأن كلا من الجزائر وفلسطين يلتقيان في البعد العربي الاسلامي من جهة ثانية، عملت الاحزاب السياسية الجزائرية على نصرة القضية الفلسطينية وادراجها ضمن اهتماماتها في مكافحة الاستعمار الاستيطاني الذي عمل على القضاء عن الهوية الوطنية وبعدها الاسلامي والاستيلاء على الاراضي مصدر الرزق وأساس الاقتصاد في العالم العربي أنذاك، ، حيث يعتبر حزب الشعب الجزائري حزبا وطنيا ذو فكر راديكالي مناهض للاستعمار الامبريالي، ويرجع نشاط حزب الشعب الى فترة العشرينيات أين عرف بنجم شمال افريقيا الذي قامت الإدارة الاستعمارية بحله سنة 1929 متهمة إياه بمعاداة فرنسا والدعوة الى الثورة، لكن حزب النجم ظل يعمل في الخفاء إلى غاية 1933 وهي السنة التي عقد الحزب خلالها اجتماعا وكان ذلك شهر ماي ، وقد أسفر الاجتماع على وضع برنامج ومن أهم ما إحتوى هذا البرنامج منع أعضاء النجم من الانتماء إلى أي منظمة أو حزب آخر، حيث خرج من النجم كل من دخل لأغراض غير وطنية وبذلك تجزأر هيكل النجم وأصبح يعمل لصالح القضية الجزائرية ولم يعد يهتم بقضايا المغرب العربي سوى اهتمام ثانوي [3]، وهو البرنامج نفسه الذي اعتمد عليه في تأسيس حزب الشعب، وقد أعلن عن برنامج الحزب من خلال تصريحات المكتب السياسي الذي أعلن سعيه لتحسين المستوى المادي والأخلاقي للشعب الجزائري ودفاعه عن كل مطالب الجزائريين كما رفض رفضا باتا الاندماج والفرنسة وعمل على تحرير الجزائر على غرار سوريا ومصر والعراق، كما أعلن مصالي الحاج من خلال الاستجوابات الموجهة اليه عن

مطالب الحزب في تطبيق القوانين الديمقراطية والاجتماعية والسياسية ومنها تأسيس برلمان جزائري مع توضيح مفاهيم الوطنية الجزائرية واستقلال الجزائر.

أما مفدي زكريا فقد ركز على فكرة الدمنيون المعروفة عند الانجليز وهو إنشاء برلمان له الحق التشريعي وينتخب من طرف سكان الجزائر قاطبة، والشيء الجديد الذي أتى به الحزب هو تكوين نظام عصري ووعي سياسي يكون أساسا للكفاح المتواصل[4].

كما ارتكزت إستراتيجية الحزب على الدفاع عن الإسلام والبلدان العربية لأن الإسلام كان المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة والارتباط مع التاريخ وكان أول من دافع عن الوحدة الجزائرية، وقد كان الشعور بالعروبة والإسلام هو المميز للحزب في اعتماده كعنصر أساسي من عناصر استمرارية الحزب ونضاله، وكان من مبادئه الدفاع ضد سياسة التنصير ،كما تضامن الحزب مع المكافحين باسم الإسلام عن قضاياهم كما دافع عن الوحدة المغربية فنجد ضمن مقالاته تأييده لزعماء الحركة التونسية والمغربية، مع قضايا المشرق العربي والعالم الإسلامي.

كان للحزب مواقفه الصارمة اتجاه السياسة الامبريالية والاستعمارية وهذا ما كان سببا قويا في ازدياد شعبيته وعلو مكانته في أوساط الجزائريين، وذلك ما أكسبه تواجد قويا وشعبية خلافا عن النجم، فقد هدف حزب الشعب إلى جزأرة المطالب السياسية، وهو ما أوضحه مصالي الحاج ضمن الاستجواب الذي قامت به رجال الشرطة والقضاء معه في 02 سبتمبر 1937م قائلا:«إن الفرق بين النجم وحزب الشعب هو أن هذا الأخير يطالب باحترام ديننا وأرضنا ونساءنا، فهو حزب ولد جزائريا ونشاطه يجري في الجزائر بخلاف النجم».[5]

ولم يكتف حزب الشعب بالدفاع عن القضية الجزائرية بل تعداها إلى الدفاع عن قضايا العالم العربي والإسلامي فكان له موقفه منذ التأسيس من الاستعمار البريطاني لفلسطين، حيث كانت للقضية الفلسطينية مكانتها ضمن برنامج الحزب، هذه القضية التي اعتبرت من القضايا العالقة والتي لم تتم تسويتها بعد، إذ أنها اليوم تتعدى كونها قضية تاريخية فلازالت ضمن القضايا السياسية الراهنة، غير أننا سنرجع بالتاريخ إلى الوراء لنتحدث عن البعد العربي والإسلامي لحزب الشعب الجزائري ودفاعه عن القضية الوطنية وربطها بالقضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص لما في القضية الفلسطينية من أوجه التشابه بينها وبين القضية الجزائرية.

إلا أننا سنتوقف عند سبب إدراج مصالي الحاج للقضية الفلسطينية ضمن برنامج لقاءاته وتجمعاته السياسية، إذ أن لشكيب أرسلان[6] دور في ذلك، فبعد أن التقى بمصالي الحاج في المؤتمر الإسلامي بجنيف المنعقد في 12 سبتمبر 1935م[7]كانت تلك مرحلة جديدة في حياة الحزب حيث أعطت للحزب اتجاها مغايرا لنجم شمال إفريقيا، بعد أن أصبحت العلاقة واضحة بين المفكر الإسلامي شكيب أرسلان والمناضل الشاب مصالي الحاج المدافع بقوة عن القضية الجزائرية ، حيث يجمع المهتمون بتاريخ الحركة الوطنية في الجزائر بانه أيقظ الضمير الاسلامي لدى مصالي الذي كان حتى سنة 1936 يؤمن بمثالية الاشتراكيين والشيوعيين [8].

هذا اللقاء الذي أخرج النجم من الفلك الشيوعي العمالي الوحيد وجعله يعتمد على تأييد مزدوج عربي إسلامي من جهة وعالمي يساري من جهة ثانية، ويذهب بعض المؤرخين الفرنسيين إلى القول بأن مصالي الحاج كان سيظل مناضلا ماركسيا لولا لقائه مع شكيب أرسلان الذي ادخله في فكرة القومية العربية[9].

هذه الفكرة التي وجدت ترحابا لدى شخصيته مصالي الحاج فكان يدافع من خلالها على القضايا العربية خاصة القضية الفلسطينية التي اجتمعت الكثير من أوجه التشابه بينها وبين القضية الجزائرية كما سبقنا وأن أشرنا، فكلا من فلسطين والجزائر تعرضتا الى الاستعمار الامبريالي فلم تختلف السياسة الامبريالية الصهيونية تحت غطاء الاستعمار الانجليزي بفلسطين عن السياسة الامبريالية الفرنسية بالجزائر، فمارس كلاهما:

الاجتثاث والقوة بمختلف أشكالها وصورها للقضاء على العنصر السكاني في كل الجزائر وفلسطين.

ممارسة الاستبداد والتفرقة العنصرية بمختلف أشكالها على ما تبقى من السكان الأصليين ممن لم يتمكن المستوطنون من إبادتهم من جذورهم بالهجرة خارج الديار الجزائرية والفلسطينية.[10]

ولأن كلا من القضيتين الفلسطينية والجزائرية قد تشابهت في نوعية الاستعمار، برز جليا تعاطف الشخصيات والنخب السياسة الجزائرية مع القضية الفلسطينية، ومن الأحزاب الجزائرية حزب الشعب الذي زاد اهتمامه بالقضية الفلسطينية بعد ثورة 1936 ومشروع التقسيم لسنة 1937 وهو التاريخ الذي أخذت فيه الاحداث منعرجا دراميا[11]

فقد اتجه الحزب منذ تأسيسه كما سبق وأن أشرنا اتجاها قوميا عربيا مهتما بالقضية الفلسطينية التي بدأت تجمع الزعماء السياسين العرب ، وذلك ما تجلى في خطاباته ولقاءاته السياسية، ولم يكتف الحزب بالوسائل الادبية كتنظيم الاجتماعات والمظاهرات والاحتجاجات في الساحات العمومية بل تعداها الى الوسائل المادية والدبلوماسية حيث افتتح الاكتتابات العامة لجمع الاموال التي سيتوجه محصولها الى المجاهدين الفلسطنيين، ووجه نداءات الى المسلمين الجزائريين لدفع التبرعات تحت اشراف لجنة الدفاع عن فلسطين، كما قام الحزب بالاتصالات الواسعة مع السلطات المعنية لابراز مواقفه وارسال برقيات الاحتجاج لدى الهيئات العليا وجمعية الامم، وطالب الحزب عبر "جريدة الامة" المسلمين الجزائريين بالتظاهر ضد ما يجري في فلسطين، وارسال الاحتجاجات الى الحكومة البريطانية والاعلان عن التضامن مع الشيخ الامين الحسيني واللجنة العليا العربية وحددت مطالب العرب العادلة والشرعية في فلسطين وهي : المنع الفوري للهجرة ، ونزع السلاح من الصهاينة ، وايقاف كل الصهاينة الارهابيين، واطلاق كل العرب المسجونيين واستقلال فلسطين وتركيز برلمان منتخب [12].

وذلك ما سنستشفه من خلال ما نقلته جريدة Action Tunisienne في 19 أوت 1937م عن اللقاء الذي نظمه مصالي الحاج وحضره 60.000 عربي حيث ندد من خلاله بسياسة انجليزا الامبريالية بفلسطين والتي سعت من خلالها إلى انشاء كيان يهودي على حساب المصالح العربية، حيث وقف الحزب بقوة ضد مشروع تقسيم فلسطين العربية المقرر من قبل اللجنة الملكية البريطانية والذي يهدد مصالح الدول العربية المجاورة، وقد أعلن الحزب تضامنه مع الشيخ الأمين الحسيني واللجنة العربية التي مثلت طموحات وآمال المقاومة الوطنية للشعب

الفلسطيني والتي عملت ساعية من اجل تحقيق ذلك، وناشد مصالي الحاج في الأخير كل المسلمين الجزائريين والدول العربية للتظاهر ضد مشروع التقسيم والمطالبة بالاستقلال التام لفلسطين العربية وأكمل الخطاب بهتفات: يحيا الأمين الحسيني، يحيا الشيخ أرسلان، يحيا إحسان الجابري، يحيا رياض الصلح، تحيا فلسطين عربية، متحدة، قوية ومستقلة.[13]

وفي نفس الفترة التي بدأ حزب الشعب نشاطه بكثافة، كان رجال الحركة الوطنية من اصلاحيين واندماجيين قد عزموا على نشر فكرة المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في طبعتين الاولى جوان 1936والثانية في جويلية 1937 في أرجاء التراب الوطني، كما تكونت على اثرهما منظمة شبيبة المؤتمر الاسلامي برئاسة الامين العمودي، التي استنكرت ما تعرض اليه الشعب الفلسطيني اثر الثورة الفلسطينية 1936 من قمع وطرد من قبل الامبريالية الانجليزية[14]، والتي سوف تنظم لاحقا لدعم القضية عبر اللجنة التي دعى اليها الشيخ العقبي، وذلك ما سنتعرض اليه لاحقا.

وظلت القضية الفلسطينية محورا من محاور اللقاءات والملتقيات السياسية لحزب الشعب الجزائري خلال فترة نضاله، حيث كتبت جريدة الامة سنة 1938: " يتابع العالم العربي من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي بكل قلق واعجاب في الوقت نفسه المعركة الشرسة التي يخوضها اخواننا في فلسطين ضد تحالف الامبريالية الانجليزية واليهود الصهاينة ...فلسطين بلاد لا تقبل التجزئة ولا التبعية ، وتنتسب الى العالم العربي والصهاينة يريدون الاستحواذ على أرض ليس لهم فيها أي حق." [14]

ورغم ما كانت تعانيه الطبقة السياسية ونخبها الوطنية من إجراءات قمعية تعسفية، لم تنسى إدراج القضية الفلسطينية والتذكير بما كان يعانيه الشعب الفلسطيني من أثر الاستعمار البريطاني في ظاهرة الصهيوني في عمقه وحقيقته التي بدأت تظهر بوادرها مع نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث تراجعت قوة كل من بريطانيا وفرنسا بعد انهزامها عسكريا وإنهاك قوتهما من أثر الحرب العالمية الثانية لتظهر أمريكا كقوة سياسية تحل محل بريطانيا في المشرق العربي ويجد الصهاينة من يستندون إليه، فالكيان الصهيوني هو الابن المدلل ولدته بريطانيا وترعرع ولا يزال في كنف الولايات المتحدة الأمريكية.

إذ تعتبر سنة 1945م ونهاية العرب العالمية الثانية، تاريخا نوعيا على صعيد إدراك تحولات النظام الدولي، فدلالات سنة 1945م لا تكمن في نهاية الحرب وإحداث مؤسسات السلم والأمن وهيئة الأمم المتحدة أساسا وحسب بل أيضا هي بداية استنفاذ مفهوم الاستعمار لقيمته التاريخية، فالهيمنة الأوروبية أولا ثم الغربية لاحقا التي تكونت مع نهضة القرن الخامس عشر وتعززت بحركة الاستعمار ستشهد تراجعا لم يوقف سيادة المشروع الحضاري الغربي ولكن عرضها للنقد والاستفهام والتساؤل[15].

ومن بين اهم انعكاسات الحرب على العالم العربي تطور الوعي السياسي في مشرقه ومغربة وتبلور الفكر القومي العربي الذي كان له وقع عميق على استكمال استقلال جل الأقطار العربية بالمشرق وتفعيل النضال الوطني المغاربي بأفق الاستقلال وتزايد الدعوات لتجديد عملها النضالي حيث رأت الحركات التحريرية المغاربية من الواجب ربط النضال القومي بمقاومة الوجود الأجنبي ومناهضة مشاريع التقسيم وتجزئة[16] الوطن العربي.

فمع نهاية الحرب العالمية الثانية تجدد النضال السياسي حسب طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لمختلف الأقطار العربية ، كما زادت في تطور هذا التحول ونضجه طبيعة المشاريع الاستعمارية التي شهدتها المنطقة العربية وفي مقدمتها تهويد فلسطين عبر إقامة كيان إسرائيلي الذي يضمن للصهيونية والغرب الرأسمالي الإمبريالي خطوط الاستقرار والامتداد بالمنطقة العربية ويعرقل بالضرورة كل نضال قومي عربي يهدف الى التحرر والوحدة والتنمية المستقلة.[17]

هذا على مستوى وضع االعالم العربي العام، أما عن مستوى الوضع بالجزائر فقد شهدت هي الاخرى مع نهاية الحرب العالمية الثانية كغيرها من دول العالم العربي جوا سياسيا طبعت عليه التحولات التي تسببت في تأثيرها الحرب العالمية الثانية خاصة وأن النخب السياسية الجزائرية كانت أكثر وعيا بسقوط هيمنة فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية وصعود قوة الولايات المتحدة الأمريكية.[18] التي ستحل محل بريطانيا في منطقة المشرق العربي و يكون لدخولها ضمن الحرب الباردة تأثير قوي على حركات التحرر، تلك التأثيرات الدولية التي كان لها وقعها على تطور الوعي السياسي لدى الطبقة السياسية الجزائرية.

ومما زاد في تطور الوعي السياسي لدى النخب الجزائرية ما شهدته الحركة الوطنية من تطورات على المستوى الداخلي خاصة أحداث 08 ماي 1945م وما نتج عنها من تطور على مستوى الوعي السياسي لدى الجزائريين لمواجهة الإدارة الاستعمارية وذلك بعد أن اهتزت قوة فرنسا كما سبق وأن أشرنا.

حيث لم تزد أحداث 08 ماي 1945 الجزائريين إلا قوة ووعيا، فما كان على الإدارة الاستعمارية إلا أن تعفو على الشخصيات السياسية الجزائرية التي تم اعتقالها وتسمح لهم بالممارسة السياسية، وكعادتها كلما شعرت الإدارة الاستعمارية بوجود حس وطني يهدد مصالحها ووجودها بالجزائر، سارعت إلى إيجاد حلول [19] لتفادي انفجار الوضع.

ولذلك صادق مجلس التأسيس الفرنسي الأول على قانون العفو عن المساجين فأطلق مصالي الحاج وفرحات عباس وغيرهما من الزعماء الوطنيين في 16 مارس 1946م. فقام فرحات عباس ورفاقه بتأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ووضعوا برنامجا لا يختلف كثيرا عن برنامج أحباب البيان والحرية[20] .

وإلى جانب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري قام مصالي الحاج بتأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية خلفا ومتابعة لمسار حزب الشعب الجزائري الذي لم يختلف برنامج عن أسس ومبادئ حزب الشعب، فقد حافظت حركة الانتصار على نهجها أيام حزب الشعب في دعم القضية الفلسطينية من خلال صحيفتها "المغرب العربي" بل وأكثر صرامة من الماضي، لأن الوضع بفلسطين أضحى على نفس الوضع الصعب الذي آلت إليه الجزائر، فقد شهدت سنة 1948 تجسيد المخاوف العربية الكبيرة منذ سنوات، فصدر القرار الاممي في 29 نوفمبر 1947 بتقسيم فلسطين، وأعلن اليهود عن قيام دولتهم في فلسطين في 15 ماي 1948، وفي الجزائر كان انصدام الوطنيون بغش وتزوير الحكومة (حكومة نايجلان) في الانتخابات التي أدت الى تلاشي مصداقية قانون الجزائر 1947، في حين لم تنسى بعد أحداث 8 ماي 1945.[21]

وقد سمحت الإدارة الاستعمارية بقيام الحزبين "حركة الانتصار والاتحاد الديمقراطي" ونشاطهما على أمل أن يدخلا في صراع وجدال وخصام وتنافر بينهما.[22] ، وهذا ما تجسد على أرض الواقع ضمن قضية بوتارن قادة بتيارت حيث ظهر على اثرها نزاع وصراع شديد بين الحزبين والتي سنتطرق اليها لاحقا.

كما عرفت جمعية العلماء هي الاخرى نشاطا سياسيا مكثفا بعد الحرب العالمية الثانية ولأن مصير الجزائر قد ارتبط بالسياسة الاستعمارية والتحولات الدولية التي انعكست على العالم العربي، حيث تواطئت الدول الغربية بعد الحرب العالمية الثانية لتدعم الاحتلال الصهيوني في فلسطين بعد أن أحكمت قبضتها على معظم بلدان العربي العربي، الذين لم تسمح لهم أوضاعهم أنذاك بأن يضغطوا على الحكومة البريطانية ويقفوا بقوة من أجل نصرة القضية الفلسطينية، وقد جاء على لسان رئيس جمعية العلماء المسلمين عبد الحميد بن باديس على أن: " الدفاع عن فلسطين من واجب كل مسلم وقد هب رجالات الاسلام في الشرق للقيام بهذا الواجب فهناك من ناحية الحكومات ما يقوم به وزير مصر ووزير العراق باسم ملوك العرب في لندن وهنالك اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين تضم فريقا كبيرا من حضرات الشيوخ والنواب المصريين وقد اعتزموا على عقد مؤتمر برلماني عالم للبحث في قضية فلسطين على أن يشترك في المؤتمر أيضا زعماء العرب والمسلمين في الاقطار العربية والاسلامية التي لاتوجد فيها برلمانات وصح عزم اللجنة على أن يعقد المؤتمر في مدينة القاهرة ان شاء الله يوم الجمعة الموافق 17 أكتوبر1938، سيكون هذا المؤتمر الاول من نوعه في الشرق العربي وستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطاني أنهما أمام العالم الاسلامي والعربي لا أمام فلسطين وحدها فعلى المسلمين كلهم أن يؤيدوا هذا المؤتمر برفع أصواتهم إليه ، وعلى اليهود الذين ينكرونظلم الصهيونية وشرها أن يغتنموا هذه الفرصة الفريدة لإعلان استنكارهم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم واعلموا أن الله شديد العقاب."[23]

وقد ظلت جمعية العلماء تساند القضية الفلسطينية بل وتعتبرها محورا أساسيا فكان للشيخ الطيب العقبي موقفه من التواطئ العالمي اتجاه القضية الفلسطينية حيث شكك في المصداقية الدولية بقوله: **" كل هذا من الانجليز الضلمة، وتحت نظر وموافقة جمعية قالوا عنها أنها جمعية الامم وعصبة الشعوب المتمدنة"**، وقد تزامنت دعوة العقبي الى دعم القضية الفلسطينية ماديا مع نداء الجامعة العربية القاضي بجعل يوم الجمعة 3 أكتوبر 1947 يوما لفلسطين في العالم لإظهار عواطف المسلمين اتجاه القضية الفلسطينية العادلة[24].

ولبى الشعب الجزائري النداء على غرار الشعوب الاسلامية الاخرى وأحيت العاصمة الذكرى بقلوب خاشعة ورفع المصلون دعواتهم الى الله خلال صلاة الجمعة لنصرة القضية الفلسطينية، وفي مساء ذلك اليوم احتضن نادي الترقي[25] ذكرى يوم فلسطين بإلقاء محاضرات من قبل كل من مصطفى الزاهري وابراهيم بوحميدة، أبو بكر جابر و محمد الحسن الورتلاني وبعدها خطب الشيخ العقبي وشرح للحاضرين عدالة القضية الفلسطينية وتطوراتها التاريخية وبأنها قضية كل مسلم في العالم الاسلامي[26].

أما جريدة الاصلاح فقد أولت اهتمامها بالقضية الفلسطينية وغطت أحداث الاحتفال بيوم فلسطين بنادي الترقي الذي نشطه العقبي وأسمته" يوم فلسطين العربية في الجزائر المسلمة العربية" واعتبرت الحدث اسلاميا ومعبرا عن الرابطة الاسلامية[27].

لم يرغب الشيخ العقبي في العمل الفردي من أجل القضية الفلسطينية، وكان يرى في العمل الجماعي القوة الفاعلة، وانه حان الأوان لتوحيد لتوحيد الرأي العام الجزائري لتدعيم فلسطين لذلك اتصل بالهيئات والاحزاب السياسية والوطنية وبالابراهيمي ممثلا عن جمعية العلماء، ووجد العقبي بعض المتاعب في محاولاته الاولى لتخوف بعض التيارات السياسية من دعوة العقبي على أساس أنه يهتم بالقضايا الخارجية على حساب القضايا الوطنية وذلك ما سيؤخر العمل السياسي بالجزائر، وأعاد العقبي الكرة واتصل بالإبراهيمي وأعرب العقبي على أن تكون مشكلة فلسطين فاتحة لعهد جديد في تقارب العلاقات السياسية الجزائرية من جهة وتقرب وجهات النظر تجاه الجمعية من جهة أخرى، وقد نجح العقبي في تفاوضه مع الابراهيمي، واتفق الطرفان على أسلوب العمل وعلى أن يقوم العقبي بتوجيه الدعوة الاتحاد الديمقراطي وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بقصد الانضمام الى العمل الجماعي والمشاركة في اعانة فلسطين وحينها تأخذ القضية نوعا من المصداقية، بعد أن تلتف حولها معظم التيارات السياسية الجزائرية ولإنجاح ذلك اقترح العقبي تأسيس لجنة للدفاع عن فلسطين في كل مدينة وقرية مهمتها جمع التبرعات واحصاء قوائم المتطوعين من المجاهدين والمجاهدات الذين يرغبون في الذهاب لفلسطين وقد أسند العقبي المهمة لمصالي الحاج [28]. أما فرحات عباس فقد لبى هو الاخر الدعوة وأبدى رغبته في العمل مع رجال الاصلاح جاعلا القضية الفلسطينية فوق كل اعتبار حزبي[29].

واثر اعلان اليهود عن تأسيس دولتهم في 15ماي 1948 واندلاع الحرب بين اليهود والجيوش العربية تأسست في الجزائر الهيئة العليا لاغاثة فلسطين بمبادرة من العلماء في 6 جوان 1948 بعد أن كانت التحضيرات سارية، وقد تتكونت من الشيوخ البشير الابراهيمي والعقبي وبيوض و فرحات عباس رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أما مصالي الحاج فلم يكن ضمنها لأسباب غامضة ،وقد اقتصر عمل هذه اللجنة على ارسال المال لفلسطين وارسال برقيات لهيئة الامم المتحدة والجامعة العربية وللحكومة الفرنسية تعلن فيها عن التضامن مع الدول العربية في كفاحها ضد الصهيونية وتلفت نظر الحكومة الفرنسية الى عواقب الاعتراف "بالدولة الاسرائلية "الكيان الصهيوني المزعومة بالدولة الذي من شأنه أن يصادم عواطف 25 مليون من مسلمي شمال افريقيا المتضامنين مع اخوانهم العرب في فلسطين[30].

وذلك ما تجسد على أرض الواقع خلال الحملات الانتخابية والتجمعات وأهم ما سجل وآثار اهتمامي قضية بوتارن قادة[31] ومهاجمتة من قبل أعضاء خلية حزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وهي من بين القضايا السياسية الخاصة بمنطقة تيارت والتي تابعها السلطات الاستعمارية من خلال تقاريرها حيث أشارت تقارير الشرطة إلى انعقاد اجتماع خاص لأعضاء خلية انتصار الحريات الديمقراطية في 29 جويلية 1948م وذلك بشأن قضية اتهام بوتارن قادة باعترافه بالدولة اليهودية، حيث كلف كل من طيبي الطبيب [32]. وولد إبراهيم السعيد[33] بالتحقيق في القضية والذين انتهيا إلى ان بوتارن قادة لم ينتمي يوما إلى لجنة ضد العنصرية وبذلك تسقط عليه التهمة.[34]

كما كان لبوتارن رد فعل اتجاه التهمة الموجهة إليه حيث سبق حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعقد اجتماع مع أعضاء خلية حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في 25 جويلية 1948م، لتكذيب ما روج عنه في أوساط المسلمين من دعاية مفادها أن بوتارن قادة قد اعترف بالدولة الإسرائيلية (الكيان

الصهيوني) وأن اسمه قد ورد في قائمة لجنة ضد العنصرية إلى جانب السيد بومنجل الصادرة بجريدة Le Droit De Vivre حيث أعلم بوتارن قادة الحاضرين بأنه لم يتقدم أبدا إلى هذه اللجنة كما أنه لم يعترف بالحكومة اليهودية بفلسطين وقد انتهى اللقاء الذي اجمع فيه 80 شخص مع بوتارن قادة بإرسال مقال لتكذيب التهمة إلى يومية وهران الجمهورية الأسبوعية المحلية وصدى تيارت Quatidien D'Oran و Echo De Tiaret.[35]

وقد جاء في الرسالة الموجهة من بوتارن قادة إلى مدير جريدة Le Droit De Vivre والمنشورة باسم المفتش العام للشرطة، مكتب تيارت في 1948/07/31م والتي تضمنت ما يلي: "سيدي المدير، لي الشرف أن أحيطكم علما بتفاجئي العميق بوجود اسمي في لجنة سمت نفسها الصدقات الإسلامية والتي لم أكن أعلم حتى بوجودها، وقد صدر هذا التنويه في جريدتكم الموقرة رقم 193 شهر جوان 1948، ومن دون إصدار أي حكم مسبق عن قيمة أو أهمية هذه اللجنة، وأحيطكم علما بأنني لم أطلب أبدا الانتماء إليها، فيما لم أقدم أبدا موافقتي لأي كان لا شفويا ولا كتابيا، وقد قامت بعض الأطراف باستعمال اسمي دون علمي أو إشعاري بذلك وهذا ما يأسفني، كما أعلمكم بأنني انتمي إلى حزب سياسي (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) وأنني من بين أعضاء لجنته المركزية وعليه فإنه لا يمكنني أن أستخدم اسمي دون إشعار مسبق لهذا التنظيم، وفي أي حال من الأحوال لم يتم طلب مثل هذا الإشعار أو الحصول عليه، ولذلك أطلب من سيادتكم أنا الذي أعرف رفعه تهذيبكم وحرصا على الحقيقة بنشر هذا التوضيح والتصحيح في عددكم القادم ومن ثم سحب اسمي من هذه اللجنة.[36]

ومهما يكن موقف بوتارن من القضية الفلسطينية واعلان الكيان الصهيوني، فإننا نستنتج من خلال ما قام به في عقده للاجتماع وإرساله لرسالة التكذيب إلى مدير جريدة Le Droit De Vivre فذلك يدل على حرص الشخصيات الوطنية على سمعتهم اتجاه القضايا العربية، كما يستنتج من هذه القضية وما أثارته من صراع بين حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أنه رغم الاختلافات الإيديولوجية للحركة الوطنية من استقلالي إلى اندماجي إلى إصلاحي فكلها عملت من أجل القضية الوطنية التي لا يمكن لأي منهم أن يفصل القضية الوطنية من امتدادها العربي والإسلامي وارتباطها الوثيق بقضايا التحرير خاصة القضايا العربية والقضية الفلسطينية التي كانت ولازالت الجزائر تدعمها.

الهوامش:

1- عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، 1978، ص15.

2 - نفس المرجع،ص ص 15،16.

3 - ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية 1930 -1954، ط4، منقحة ، دار الغرب الاسلامي ، 1982، ج2، ص: 144.

4 - محمد قنانش ، محفوظ قداش ، حزب الشعب الجزائري 1937 -1939، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر ، ص21.

5 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ،ص145.

6 - شكيب أرسلان:ولد بلبنان 25 ديسمبر 1869 وبعد عمر طويل من النشاط السياسي والقومي والأدبي توفي في بيروت 09 ديسمبر 1946 ، وكان قد تعلم ببيروت ومن شيوخه الشيخ محمد عبده، نظم الأمير أرسلان الشعر مبكرا وكان

يكتب في الصحف المعاصرة: الأهرام والمؤيد، تولى وظائف إدارية في الشام أثناء العهد العثماني وشارك في حرب طربلس ضد ايطاليا إلى جانب بعض زعماء لجنة الاتحاد والترقي مثل أنور باشا وكان من أنصار الاتحاديين العرب والأتراك، أنتخب للبرلمان العثماني دعم موقف تركيا خلال الحرب العالمية، لكنه اختلف مع سياسة جمال باشا الذي حكم بالاعدام على عدد من زعماء العرب، غادر الأمير أرسلان سوريا إلى اسطنبول سنة 1916 وهي سنة الثورة العربية وسنة استشهاد القادة العرب على يد جمال باشا، وبعدها انتقل الى لوزان ثم في جنيف حيث عصبة الأمم ولم يرجع إلى سوريا إلى زائرا سنة 1937.

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ط خ، عالم المعرفة ، 2009، ج 4 ،ص:115.

7 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ،ص126.

8 - الزبيري، محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الطبعة 1 ، دار البعث، قسنطينة ، ، ص73.

9 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ، ،ص127 .

10 - رحيم محياوي، دراسة مستقبلية الاستيطان والتوطين الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، منشورات جامعة باجي مختار ، 2006،ص9.

11 - أحمد شفيق أحمد أبو جزر، العلاقات الجزائرية الفلسطينية مواقف وأسرار، دا هومة، 2004، ص 192.

12 - نفس المرجع، ص193.

13 - محفوظ قداش، محمد قنانش، المرجع السابق،ص111.

14 - أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 221.

15 - أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص194.

16 - محمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، أغسطس، 1994، ص398.

17 -أحمد شقيث أبو الجزر، المرجع السابق

18 - نفس المرجع.

19 - نفس المرجع، ص 428.

20 - عمار هلال ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر1995، ص 262.

21 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري 1830_1954 ، طبعة خاصة، دار البصائر، 2009، ص155.

22 -أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص179.

23 - نفس المرجع، ص162.

24 - عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة، جمع وتعليق محمد القورصو، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والاشهار، 2010، ص157.

25 - أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ط1، الجزائر، 2003، ج1، ص275.

26 - اسقاطا لما جاء في كتاب الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي حول النوادي العربية ودورها في حركات التحرر فان نادي الترقي كغيره من النوادي العربية قد لعب هو الآخر دورا بارزا ، خاصة في الجانب الثقافي داخليا ومساندته لحركات التحرر خارجيا ، واعتبرت القضية الفلسطينية محور النضال العربي للتحرير من السيطرة الاستعمارية ، هذا التحرير الذي يشكل خطوة أساسية لتحقيق الوحدة العربية، واعتبر الصهيونية حركة اعتدائية

استعمارية تهدف الى انشاء كيان صهيوني في فلسطين ليسيطر على الوطن العربي سياسيا واقتصاديا ويحول دون تحقيق وحدته واستقلاله.

هادي حسن عليوي، الاتجاهات الوحدوية في الفكر القومي العربي المشرقي 1956/1918، ط1، بيروت، 2000، ص175.

27 - أحمد مريوش، المرجع السابق.

28 - نفس المرجع.

29 - نفس المرجع، ص277.

30 - نفس المرجع، ص278.

31 - أحمد شفيق أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص211.

32 - بوتارن قادة من مواليد بريزينة البيض الا أنه عرف حسب التقارير الفرنسية بنشاطه بمنطقة تيارت ، حيث كان ممثلا لفرندة في المجلس العام كما كان مسؤولا عن خلية حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بتيارت ، يعتبر أكثر الاعضاء نشاطا في مجال الدعاية للحزب ومن الاعضاء الاكثر تأثيرا في العمل السياسي.

A.O.M carton 926/46 notice de renseignement, le 28/09/1947 .

33 - طيبي الطيب من أعضاء خلية حزب الشعب ، عمل في مجال الدعاية لحزب الشعب حركة انصار الحريات الديمقراطية ، عمل كموزع للمنشورات الوطنية للجريدة السرية action algérienne ، كان ضمن لائحة الموقوفين على اثر أحداث 8ماي 1945 المنطلقة من الشرق الجزائري A.O.M carton 926/46, affaire indigène, activité des élément t nationaliste, surveillance des milieux musulman 1939/1947.

34 - ولد ابراهيم السعيد قدم الى تيارت1939 من ميشلي بلاد القبائل ومنذ ذلك الحين وهو يستعمل محله للخياطة الواقع ب la rue thiers لنشر أفكاره الوطنية ، عرف بنشاطه الدعائي لصالح حزب الشعب _ حركة انتصار الحريات الديمقراطية لدى معارفه، تم القبض عليه في 15 ماي 1945 وحينها اعترف بأنه رئيس فرع الحزب بالمنطقة(وحينها كان نشاط الحزب سريا وغير شرعي وفق القانون الفرنسي) ، كما عرف بمعاداته لفرنسا ولتواجدها بالجزائر ، وحسب التقارير شرطة الاستعلامات العامة فان ولد ابراهيم يعتبر عنصرا خطيرا يهدد أمن فرنسا الوطني حيث كانت تعتبر الجزائر جزءا لا يتجزأ من الوطن الام فرنسا .

A.O.M carton 926/46, affaire indigène, activité des élément t nationaliste, surveillance des milieux musulman 1939/1947.

35- A.O.M Oran 132 ,L'Activite de PPA a Tiaret ,Tiaret le 30 Juillet 1948.

36- A.O.M Oran 132 ,L'Activite de UDMA a Tiaret ,Tiaret le 26 Juillet 1948.

36- A.O.M Oran 132, Tiaret le31 Juillet 1948.